

الحركة الوطنية في منطقة برج بوعريـج

For the national movement in the region of Bordj Bou Arreridj

1. أ. د. عبد الله مقلاتي، جامعة محمد بوضياف المسيلة، yahoo.com@abdalah19 (عبد الله مقلاتي – Abdulah Megeulati)

تاريخ الإرسال: 2023/03/21 تاريخ القبول: 2023 /04 /17 تاريخ النشر: 2023/06/30

ملخص:

في هذا المقال نحاول التعرف على نشاط الحركة الوطنية بمنطقة برج بوعريـج، وذلك منذ بداية القرن العشرين وإلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، حيث نرصد العوامل المؤثرة على بروز العمل الوطني، ومختلف الفاعلين والتيارات الوطنية، ونهدف إلى معرفة دور هذا النشاط في العمل الوطني بالمنطقة، وقد توصلنا إلى نتائج مهمة، من بينها أهمية المنطقة في العمل الوطني، ومساهمة الكثير من العناصر الفاعلة في الحركة الوطنية بمختلف مشاربها، وأهمية هذا النشاط في دعم الثورة التحريرية.
كلمات مفتاحية: برج بوعريـج، الحركة الوطنية الجزائر، الثورة.

Abstract:

In this article, we try to identify the activity of the national movement in the Bordj Bou Arreridj region, from the beginning of the twentieth century until the outbreak of the liberation revolution, where we monitor the factors affecting the emergence of national action, and the various actors and national currents, and we aim to know the role of this activity in national action in the region. We reached important results, including the importance of the region in national action, the contribution of many active elements in the national movement in its various aspects, and the importance of this activity supporting the liberation revolution.

Keywords: Bordj Bou Arreridj; the national movement; Algeria; the revolution.

مقدمة:

برج بوعريبرج بلدة لها تاريخها الضارب في القدم، تعايشت فيها قبائل وحضارات، وصنعت مجدا عبر مختلف العصور، وفي العصر الحديث قامت على أرضها إمارة قبيلة المقرانيين وعاصمتها مجانية، وعندما احتل الفرنسيون المنطقة جعلوا من المركز الروماني القديم المعروف بقلعة المقراني مدينة مركزية لحكم المنطقة وإقامة المستوطنين، ومن بين غلاة المستوطنين الذين سكنوا المنطقة واستبدوا بها نذكر: الإخوة فيقليانو، الإخوة انبال، المعمر سيسو، وبوردا، ودانيال، وقاليا، وأبناء سيمح اليهودي، وأسي صاحب المزرعة المعروفة، وغيرهم. وأما القبائل الأولى للأهالي التي سكنت المنطقة فنذكر منها: مزيتة، لحشم، أولاد عياض، مقدم، أولاد خلوف، بن عيدل، وشانن، أولاد نائر، بني عباس، ونوغة⁽¹⁾، وقد كان لسكانها دور فاعل في مقاومة الاحتلال، وخلال القرن العشرين أخذت المقاومة شكلا جديدا، اعتمدت المقاومة الثقافية والسياسية للمعتل، فكيف يمكن تصور ملامح الحركة الوطنية في المنطقة؟..

1- تبلور الوعي السياسي:

في بداية القرن العشرين شهدت مدينة برج بوعريبرج وأحوازها تطورات حاسمة، كان من ملامحها: نمو الوعي الوطني والإصلاحي.
رفض غطرسة السياسة الفرنسية.

والمظهر الأول ناتج عن حركات الإصلاح الإسلامية وظاهرة الهجرة والاحتكاك بما يحدث في العالم العربي، وخاصة التأثير بالوضع السياسي والاجتماعي في فرنسا وظهور حركات القومية والنهضة والتحرر.
ومظاهر ذلك في برج بوعريبرج بروز نخبة من العلماء مثل البشير الإبراهيمي، وانتشار تعليم الزوايا والمدارس الحرة، وتقبل أفكار الإصلاح القادمة من الخارج.
وأما ما تعلق بردود الفعل على سياسة المستعمر المتغترسة فتجلت في شجب مختلف تلك السياسات التي طالت نزع الأراضي والممتلكات، وتهميش السكان وتفجيرهم وتجهيلهم، ومضايقة النشاط الوطني،

وردا على هذه السياسة تجند المستوطن الشيعي "فكتور سبيلمان" القاطن ببرج بوعرييج للدفاع عن حقوق المستضعفين المهضومة، فكان تعاونه مع بعض مثقفي البلدة ومع الأمير خالد، وخطبه ومقالاته في صحيفة المستضعفين أثرها في نشر الوعي الوطني، ونشير كذلك إلى حادثة إقدام حاكم مجانية أوائل الحرب العالمية الأولى إلى نزع أراضي الأهالي الفلاحية ومنحها للباشاغا شيبان، فندد بعض أعيان البرج بذلك، ومنهم الحواس بن شناف والجمعي بلحداد، اللذين تعرضا للنفي إلى معتقل عين الصفراء بالجنوب الغربي⁽²⁾.

ومنذ عهد الأمير خالد وإلى ظهور التكتلات والأحزاب السياسية كان سكان بر بوعرييج يتفاعلون مع الحراك الوطني، والذي تجلى في عدة تيارات: المنتخبون، العلماء، الاستقاليون. وقد اعتمدت سياسة فرنسا على قانون الأهالي الجائر الذي استعبد السكان، حيث غطرتة المستوطنين منذ انتهاء ثورة عام 1871 تجلت في معاقبة السكان من دون محاكمة وفقا لقانون الأنديجينا، وكان رؤساء البلديات المختلطة في البيبان والمتصرفون الإداريون في البرج ومجانة ورأس الوادي يسלטون أقصى العقوبات على أبسط التصرفات التي تصدر من الأهالي، وهذا الوضع زاد من حالة الاحتقان وأتاح المجال للسكان في احتضان العمل الوطني من أجل التغيير، بما في ذلك بعض الأعيان الذين لم يسلموا من سياسة المستعمر وتصرفات المستوطنين، مثلما حصل للطاهر آخروف.

وقد كان للعائدين من جهات الحرب العالمية الأولى ولبعض المثقفين الدارسين في فرنسا الدور في قيادة الحراك النضالي في البرج، وبعضهم من أبناء الأعيان مثل الدكتور أحمد بن عبيد سليل العائلة البورجوازية التي أسندت لها إدارة مناطق واسعة بالبرج، والدكتور شوقي مصطفى اليعلاوي مرشح حزب الشعب في دائرة سطيف، وكذا الدكتور عيسى بن سالم الزموري، والذي كان يتولى مناصب إدارية في الحضنة وتجدد مع حركة النخبة في قسنطينة وتولى تمثيل المنطقة في كتلة المنتخبين سنوات طويلة في البرلمان الفرنسي. ومنذ عام 1930 وهو المرشح الرئيسي في الانتخابات ببرج بوعرييج، حيث أسس فريقا لكرة القدم وكشافة ومكتبا لحزب فرحات عباس. ثم لحركة الانتصار.

وكان لنشاط العلماء بزعامة محمد البشير الإبراهيمي دور فاعل في المنطقة، وخاصة من خلال محاربتهم للخرافات والبدع، وإنشاء الجمعيات والمساجد والمدارس، مثل مدرسة التهذيب بالبرج، ومدرسة قلعة بني عباس، ومدرسة رأس الوادي، ومدرسة عين تاغورت، وكذا تكوين الإبراهيمي لنخبة محلية تتولى الإصلاح في المنطقة، ومنهم موسى الأحمدني نويوات المدرس في برج لغدير والبرج، والشيخ المدني بوعزيز عضو المجلس الإداري للجمعية عام 1934، ومفتي الديار السطايفية الشيخ محمد الطاهر خبايا، والشيخ عمر أبو حفص الزموري... الخ.

إلى جانب نشاط محمد البشير الإبراهيمي الحثيث بالمنطقة وابن العقون، والسعيد البيباني ومحفوظ سماتي هناك الشخصيات المغمورة التي غذت الفعل التعليمي والثقافي والاجتماعي وكانت وراء انطلاقة الحركة الوطنية ومن بعدها الثورة التحريرية، أمثال السعيد البيباني الذي نشط عام 1943 فرع حزب احباب البيان بتوجيه من الابراهيمي وفرحات عباس، وخبايا محمد ومروش حسين بن عمر وخبايا البشير وخبايا الطاهر بن سعدون وبوسام المنور وعاشور احمد، مصطفى سعد الدين، السيد عبدون احمد، والسيد بلعيد مسعود، واخروف لحميدي وشلباي وتيبورتين وسابس، والسماتي، وكان اغلب هذه العناصر ينشطون ضمن حركة احباب البيان والحرية وجمعية العلماء⁽³⁾.

وقد انتشرت أفكار نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب في المنطقة بفضل المناضلين والمهاجرين القادمين من فرنسا، فمنذ الثلاثينيات انتشرت أفكاره في سطيف والبرج، ويرجع الفضل إلى بعض ممثليه في سطيف علي واحمد بن إبراهيم معيزة، وكذا عمار بوجريدة الذي نفته السلطات الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية إلى عين الكبيرة واستقر بها لنشر أفكار الحزب سرى، وخاصة في قنزات. وكذا محمد بوضياف الذي كان مستقرا في البرج ويتنقل في ضواحيها، ومنها قنزات. ويرجع الفضل الكبير إلى الطبيب عيسى بن سالم الذي تحول بعد الحرب العالمية الثانية إلى نصير لحركة الانتصار بقيادة مصالي، وكانت له شعبية كبيرة، ما سمح بانتشار أفكار الحزب الاستقلالي⁽⁴⁾.

وقد قامت مجموعة من مناضلي الحركة الوطنية بمدينة البرج خلال الحرب العالمية الثانية بتكوين فرع الكشافة الإسلامية، ويرجع تاريخ تأسيسها بمدينة البرج الى 1 ماي 1941 وكان اول رئيس لها السيد مصطفاي سعد الدين

وكانت تلك الأفكار التحررية تجد المناخ الخصب والتقبل اللائق بين السكان، وخاصة في مدينة البرج، حيث بدأت تتشكل الخلايا السرية الأولى، وخلال الحرب العالمية الثانية تجمع نخبة من الشبان حول محمد بوضياف الذي كان يعمل في متصرفية الضرائب بالبرج، وبفضل تلك الأفكار والدعوات وجد التيار الاستقلالي مكانة مرموقة في البرج، تجلت خلال زيارات مسؤولي الحزب وخلال المناسبات الانتخابية.

وكانت للحرب العالمية الثانية ويلاتها وتأثيراتها على المنطقة، تجلت في إقحام شبابها في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، وفي نمو الوعي الوطني الذي قاده فرحات عباس انطلاقا من مدينة سطيف، وانتشار الخلايا السرية لحزب الشعب بفضل جهود عيسى بن سالم ومحمد بوضياف⁽⁵⁾.

وكان وقع حودث الثامن ماي 1945 مؤثرا في المنطقة، حيث شهدت مدينة البرج القربية من سطيف بدورها المظاهرات، فحسب شهادة الشهود بدأت في المدينة مظاهرة منظمة منذ الثامنة صباحا، أطرها مناضلو أحباب البيان والحرية، ورفعوا الراية الوطنية وشعارات السلام والحرية، واتجهوا نحو النصب التذكاري للموتى، وحاول الأوربيون والشرطة التصدي لهم، وتوسط رئيس بلدية البرج "غاسطون لو" بحنكته الدبلوماسية من أجل منعهم، خاصة وأن عمال مطحنته كانوا ضمن المتظاهرين، ومرت المظاهرة بسلام، وبعد أيام بدأ توقيف الأهالي، وبدأ غلاة المستوطنين في قتل من يصادفونه وحيدا، وخاصة في الليل، ومن هؤلاء "سيسيو" و"فيقليانو"، كلاهما قررت جبهة التحرير الوطني إعدامهما عام 1956 لأنهما أصبحا قياديين في منظمة اليد الحمراء بالبرج⁽⁶⁾.

2- الحركة الوطنية في البرج بعد الحرب العالمية الثانية :

بعد الحرب العالمية الثانية كان وقع نتائجها مؤثرا في المنطقة، فبعد حالة من التأزم وقع إطلاق المساجين وسمح للأحزاب بالعودة للنشاط، وأطلقت وعود الإصلاح، ما سمح لكل الأحزاب والجمعيات القيام بنشاط واسع في مدينة البرج وقرائها، ومنهم جمعيات الكشافة والطلبة والعمال.

وكان نشاط جمعية العلماء واسعا، معتمدة على مساهمة الأعيان. حيث تأسست من جسد شعبة جمعية العلماء المسلمين ببرج بوعريبرج في اجتماع 17 أكتوبر 1948، وتشكل مكتبها⁷ من: الرئيس اخروف لحميدي ومقراني عبد السلام و بلغازي مبروك وبن داود محمد وشيتور احسن وحناشي الطيب وزيتوني البشير وتيبورتين العيد وغربي محمد وموسى الاحمدي نويوات الذي كلفته الجمعية بالتعليم بمنطقة اقبو. وفي صيف 1952 اعيد تشكيل مكتب جمعية العلماء بالبرج وأصبح يضم العناصر التالية:

عمار الشركاوي رئيس

بلعيد تيبورتين نائب الى جانب السيد ولد عمار عبد العزيز

الاحمدي نويوات موسى امين عام .

خبابة محمد نائب الأمين العام

وشن صالح امين المال

غربي محمد نائبه الى جانب السيد السعيد بوعويونة وعبدون عمار نواب له⁸

كما اعيد تشكيل مكتب جديد لجمعية العلماء ببرج بوعريبرج مرتين قبل اندلاع الثورة التحريرية كان التغيير الأول قد حصل أواخر سنة 1952 عندما أصبح مكتبها يتكون من:

الرئيس عبيدات الحاج الطيب

الأمين العام قاسمي الطاهر

امين المال صديقي احمد

والتشكيل الأخير كان في صيف 1954 حيث بتاريخ 15 اوت 1954 حدث تأسيس مكتب جديد لجمعية علماء البرج جمع الأعضاء⁹:

الرئيس عبيدات الحاج الطيب ونائبه بوعويونة السعيد الى جانب امين المال قاسمي الطاهر وعزوق عمار وصديقي عمار والحاج كواشي وطبيي الطيب اما الأعضاء فهم: بن جعد لخضر وحمودي حمود و"صحراوي الطيب وحناشي الطيب وخبابة محمد ومريز عمار وبن جعد لخضر وبن العربي فوضيل

وحماش قدور وفارس مولود وعمرو بن كسين عيسى بن السيد عياد إبراهيم والمرشد العام الاديب موسى الاحمدي نويوات ونائبه تركي العربي⁽¹⁰⁾.

وظهر نشاط الجمعية في العناية بالمدارس والمساجد، وفي نشر الافكار الاصلاحية من خلال تجنيد المشائخ والشبان المتعلمين لمساندة طروحات الحركة الاصلاحية، وخاصة دعم نشاط فرحات عباس خلال المناسبات الانتخابية.

وكان لمشاركة الأحزاب الوطنية في الانتخابات المحلية وقعه في نشر دعاية وطنية واسعة، وخاصة عندما وحد فرحات عباس ومصالي مطالهما، وبعدها بفضل تنافس خيارين، تيار الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري المطالب بالفدرالية والثورة بالقانون، وتيار حركة الانتصار للحريات الديمقراطية المطالب بالاستقلال.

وقد شهدت الحركة الوطنية بمنطقة البرج تحولات مهمة، في الجانب السياسي بدأ يتقوى نفوذ أنصار البيان المطالبين بالاستقلال بزعامة فرحات عباس، وذلك على حساب الممثلين القدامى التابعين للإدارة، وكذا ظهور التقسيم الإداري الجديد عام 1947 بنظام القسمين الانتخابيين، المعمرين والأهالي.

وكانت سنة 1947 وما بعدها فرصة لتقوى نفوذ حركة الانتصار التي كانت تقدم مرشحين عنها لجميع المستويات، البلديات، مجلس العمالة، والمجلس الوطني، والذي قدمت له عدة أسماء منهم، بن سالم عيسى ومحبوب وزيناي لتمثيل دائرة سطيف... الخ⁽¹¹⁾.

وفي جانفي 1954 نظمت انتخابات المجلس الجزائري، وقد ترشح لها في إقليم البرج الأسماء الآتية: ابن سالم عيسى: مرشح سابق لعهدتين، أصله من زمورة، ولكنه عاش مع عائلته في بوسعادة وتولى أفراد عائلته على رأس قيادة دواوير المسيلة، كانت له شعبية كبيرة بحكم مهنته كطبيب في البرج، ومكانة عائلته الارستقراطية، وأسبقيته في الترشح نائب منذ 18 سنة في المجلس الجزائري، حيث ترشح من قبل عن حركة النواب 1945، ثم حركة الانتصار عام 1951 إلى جانب السيدين محبوب وزيناي، وكان نائبا لرئيس المجلس الجزائري بقسنطينة من قبل، وكان متوقعا فوزه رغم حملة الانتخابات المحمومة.

ابن الذيب محمد: وهو من مدينة رأس الوادي، ترشح مستقلا وكان يحضى بدعم الإدارة، ولم يكن معروفا بالشكل اللائق.

آخروف الطاهر: من عائلة مرموقة له كثير من الأملاك، كان نائبا لمقاطعة البيان، ترشح مستقلا ويعتبر مقرب من الإدارة المحلية، كما أن له علاقات مع فرحات عباس وجمعية العلماء التي اقترحت اسمه لعضوية مجلس الديانة الإسلامية عام 1951.

شاكر بلقاسم، من المسيلة مناضل قديم في الحزب الشيوعي الجزائري ومرشح باسمه، كان له خطاب عنيف ضد الإدارة الفرنسية وضد أنصارها الإداريين مثل آخروف الطاهر الذي دخل معه في مشادة كلامية في تجمع بالمسيلة التابعة لمقاطعة البرج.

وكان تدخل الإدارة الفرنسية واضحا في توجيه الانتخابات، تدخل رئيس بلدية البرج لصالح ابن الذيب، وتدخل عدد من المستوطنين لصالح ابن الذيب وآخروف، ولوحظ مرافقة هليكوبتر وحرس جمهوري للمرشح ابن الذيب.

وأما نتائج التصويت فكانت لصالح ابن سالم عيسى مرشح حركة الانتصار، والذي لوحظ ميله لجناح فرحات عباس، هذا الأخير دعمه ولم يقدم مرشحه بالمنطقة.

وأما مطالب المرشحين المرفوعة خلال الانتخابات فكانت تدور حول حل مشاكل الأهالي اليومية، ممثلة في تخفيض الضرائب، وتعليم السكان والحفاظ على هويتهم الإسلامية، ووضح حد للمشكلات الاقتصادية كتوفير العمل في الشركات الفرنسية والماء وغيرها⁽¹²⁾.

وان كانت أجواء هذه الانتخابات المتهبة حماسا أدت إلى نمو الوعي الوطني، فقد أكدت للكثيرين اليأس من السياسة الفرنسية ونظام الانتخابات الذي يخدم الموالين للإدارة الفرنسية، والذي اعتمد منذ عهد نايجلان التزوير ودعم أنصار الإدارة، وقد نشط المناضلون في الدعوة إلى ضرورة مناصرة التيار الاستقلالي الممثل في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ومصالي الحاج، الذي يأمل أن يغير الوضع السياسي جذريا في الجزائر، وقد كانت خطب مصالي الرنانة الثورية تلهب السكان حماسة.

وعلى الرغم من انتشار الحزب وأفكاره في منطقة البرج فإن الأزمة التي عصفت به أثرت على مشروعه الاستقلالي، ومعه طال انتظار المناضلين، ولكن ومع اندلاع الثورة تغير الوضع تماما، حيث تنفس المناضلون الصعداء واستعدوا لخوض معركة التحرير، ومن بين هؤلاء نذكر: عيسى حميطوش البنداوي، عبد الرحمان عبادة، عبدالله عبد الرحيم، والنذير الزبوش والمختار بلجودي ورايح مهني والسعيد زروقي والربيع زواوي وعبد الكريم العقون ورايح بلجرو، وعلي بن حالة وأحمد قادري⁽¹³⁾.

كما نشير الى عدد من المناضلين النشطين خارج المنطقة، ومنهم السعيد بوعلي، ابن المنصورة، وهو واحد من مجموعة الاثنتين والعشرين كان من قادة النضال في قسنطينة، وكذا السعيد البيباني المكلف من جمعية العلماء بالنشاط الدعوي في فرنسا

وقد كان تجند هؤلاء من خلال واجهتين، واجهة المنطقة الثالثة القبائل، من خلال جهود البنداوي في تجنيد نواحي شمال برج بوعريبرج الى غاية المدينة، وخاصة بوندة والجعافرة وزمورة. ومن جهة المنطقة الأولى الاوراس، حيث كلف عبد المجيد بورزق المعضادي بتجنيد نواحي جنوب الولاية، غيلاسة ورأس الواد وبرج الغدير وصولا الى مدينة البرج، والعش والحمادية، وفي بداية عام 1955 بدأت الاشتباكات والعمليات المسلحة، وقد أصبحت البرج منطقة استراتيجية، عبر على أراضيها قادة الاوراس للتواصل مع منطقة القبائل ومنهم لعموري والنمر والحاج لخضر وعمر بن بوالعيد... الخ.

خاتمة:

ومن خلال ما سبق نخلص للتأكيد على أهمية نشاط الحركة الوطنية بمنطقة برج بوعريبرج، وذلك بفضل نخبتها المثقفة والوطنية، حيث سجلت مختلف التوجهات الحزبية حضورها لتجعل من المنطقة قاعدة أساسية لنشاط الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وخاصة الحركة الإصلاحية التي كان لمحمد البشير الابراهيمي تأثيرا فاعلا فيها، وكذا الحركة الاستقلالية بفضل جهود بن سالم عيسى ومحمد بوضياف. وقد تبين لنا أهمية هذا النشاط في التمهيد للثورة التحريرية، حيث انصهرت مختلف الفعاليات في مسانبتها ودعمها بأشكال مختلفة، وهو ما جعل المنطقة تحتل مكانة خلال الثورة التحريرية.

- الهوامش:

- ¹ انظر وشن ميزان: مقاومة الاحتلال بالهضاب العليا عبر العصور، كوكب العلوم، الجزائر، 2015، ص ص 250، 258
- ² انظر يحي بوعزيز: دائرة الجعافرة تاريخ وحضارة وجهاد، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 105
- ³ انظر محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحربي بالجزائر، ج1، دارالامة، الجزائر، ص 180، 181 وما بعدها
- ⁴ انظر سيد أحمد بن نعماني: دائر سطيف، رسالة دكتوراه جامعة سيدي بلعباس، ص. 48 وما بعدها
- ⁵ شهادة مجموعة مجاهدين بالبرج منهم احمد بن عبيد
- ⁶ انظر شهادة المجاهد محمد طاهر، رضوان عيناد ثابت: 8 ماي 45 والإبادة الجماعية في الجزائر، منشورات أناب، الجزائر، 205، ص 221
- ⁷ ANOM : slna, 93/4420, rapport administrateur de la commune mixte de maadid.1948
- ⁸ ANOM : Slna93/4412 : rapport du 13.8.1952
- ⁹ ANOM : slna,93/4636.bba,oulama,rapport de 6/09/1954
- ¹⁰ شهادة موسى الاحمدي نويوات للباحث ، لقاءات مختلفة بمنزله برج بوعرييج
- ¹¹ انظر كمال بيرم: الحركة الوطنية في منطقة المسيلة، مرجع سابق، ، ص 142.156
- ¹² انظر بيرم كمال: الحركة الوطنية بمنطقة المسيلة، ص 157.165
- ¹³ شهادة عدد من المجاهدين، منهم احمد قادري، برج بوعرييج عام 2003